خطاب نهائي

ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بمناسبة الجلسة السنوية للجماعة في بريطانيا

بتاريخ ٢٠٢٦/٠٧/٢٦م

في حديقة المهدي بآلتون في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا إذ خلقنا في هذا العصر الذي بعث فيه الغلام الصادق للنبي ﷺ لنشر تعليم الإسلام في العالم ومن أجل النشأة الثانية للإسلام، فقد بعثه سبحانه وتعالى لإقامة ملكوت الإله الواحد في العالم بحسب التعليم الذي أعطاناه النبي ﷺ وللقضاء على الشرك، ولخلق القيم الروحانية والأخلاقية، وإعطاء تعليم الإخلاص والوفاء، ولخلق القيم التي تتسم كاملا بالوفاء والإخلاص والطاعة. كان هذا المسيح والمهدي سيسعى بجميع كفاءاته كاملة، لينشئ جماعة موحدة تماما بحيث يتخلص كل فرد منها نهائيا من الشرك من ناحية ويوظف جميع كفاءاته وقدراته من ناحية أخرى لجعل العالم كله في حضن الإله الواحد. وكذلك قد بعثه كما قلت لتطهير العالم من كل أنواع المساوئ الأخلاقية. وهذه كانت مهمة المؤمنين به، لكي يتمكن العالم من خلق وسائل بقائه من خلال القيم الروحانية والأخلاقية، ومن أجل ذلك أسس حضرته جماعة طاهرة بإذن من الله، وأخذ البيعة من أتباعه على بعض الشروط التي عددها عشرة، وكلمات البيعة نفسها نرددها دوما عند المبايعة أو الانضمام إلى الجماعة. فحين أخذ حضرته عليه السلام البيعة فإنما طلب من المبايع أن يعاهد بصدق القلب على ألا يقرب الشركَ حتى يدخل القبر وأن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يرتكب الزنا وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميع طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا هامًّا.

هذه الأمور مهمة جدا لإصلاح الأخلاق.

وأن يواظب – من أجل التقدم الروحاني- على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وألا يكتفي بالصلوات المكتوبة فحسب بل يداوم جهدَ المستطيع على التهجد أيضا، وكذلك يداوم على الصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له.

هذه الأمور غاية في الأهمية لرقي الحالة الروحانية للإنسان. ومنها "ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس .. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر". ثمة حاجة لخلق هذا الأمر في المسلمين بوجه خاص، ولا سيما في الأوضاع المعاصرة.

وأن يذكر نعم الله ﷻ في كل حال، وينشئ علاقة الوفاء بالله ﷻ ويرضى بقضائه بطيب الخاطر. وإذا اقتضى الوضع تحمُّل أي نوع من الألم والذلة فسوف يتحمل، ويمتنع عن الهوى والحرص، وعن جميع تقاليد الدنيا السيئة، وأنه سيؤثر ما قال الله ورسولُه على كل هذه الأمور.

وأن يجتنب التكبر ويتحلى بالتواضع، وحسن الخلق والحلم والانكسار، ويرى الدِّين وعزَّه ومواساة الإسلام أحبَّ إليه من نفسه وماله وأولاده ومن كل شيء.

وأن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً، خالصةً لوجه الله تعالى، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من كفاءات وقدرات.

ثم قال حضرته بتركيز أكثر أن يتعهد المبايع أنه سيستعد دوما لأن يضحي بحياته وماله ووقته بعاطفة الطاعة. وأنه سيتقبل بصدق القلب كل ما يحكم به المسيح الموعود عليه السلام، أي حين بايعه فسوف يتقبل أحكامه أيضا بصدق القلب. هذا يشمل طاعة الخلافة أيضا طاعة كاملة، لأن الخلافة أيضا مواصلة مهمات سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام حصرا بحسب وعود الله ﷻ. فكأنه عليه السلام قد بين في هذه الشروط التي ما عددتها وإنما بينتُ محتواها بإيجاز، كلَّ هذه الأمور أنكم إذا حققتم ذلك فعندها يمكن أن تُعَدُّوا أحمديين صادقين وعندها فقط يمكن أن تؤدوا حق بيعتكم.

فالآن سأتكلم بإيجاز من هذا المنطلق، مع أني قد ألقيت الخطب حول شروط البيعة سابقا أيضا وتناولت هذا الموضوع في عدة خطب، وقدمت بعض النصوص من القرآن والحديث أيضا، وهي منشورة في صورة كتاب، لكن هناك حاجة ماسة للعمل بها، ومن ثم هناك حاجة لأن أتناولها من جديد، وسأحاول ألا أذكر النصوص التي سبق بيانُها، وأتناول أمورا ونصوصا جديدة وأحاديث جديدة، لكي نزداد علما أكثر ونسعى للعمل بها، وحتى لن أتناول كل الجوانب، وإنما سأركز على أكبر جانب منها وهو مذكور في الشرط الأول. باختصار لقد تكلمت عن الكثير لكن الوقت لا يسمح لي بتفصيلها كلها، لذا سأكتفي ببعض الجوانب فقط.

قبل كل شيء إن أول شرط وضعه عليه السلام على المبايع أنه سيجتنب الشرك، فلن يشرك أبدا حتى الوفاة، فهذا الشرط إذا عمل به الإنسان بصدق فإنه سوف يستطيع اتقاء سيئات كثيرة. وعن ذلك يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في موضع:

"كان الهدف والغرض الحقيقي لكل نبي دائما أن ينجو الناس من الذنوب وينفروا من السيئات والمنكرات كلها، ويكونوا لله وحده. وليس الهدف الحقيقي لخلق الإنسان إلا أن يكون لله تعالى وحده، لذا فالغرض

من بعثة الأنبياء أيضا إرشاد الناس إلى هذا الهدف لكي يستعيدوا متاعهم المفقود ويحققوا هدفهم. مع أن الذنوب كثيرةُ الأنواع والشُعب والفروع حتى إنّ الغفلة البسيطة أيضا تعد من الذنب، ولكن الذنب العظيم الشأن الذي يصرف الإنسانَ عن هذا الهدف الحقيقي هو الشرك. (فالشرك ذنب عظيم) والغرض الحقيقي لخلق الإنسان هو أن يكون لله وحده، ويبتعد كثيرا عن الذنوب ودوافعها، لأنه كلما تورط فيها الإنسان الشقي ابتعد عن هدفه الحقيقي حتى يسقط رويدا رويدا في مكان سفلي هو بؤرة المصائب والمشاكل وكل نوع من الآلام والمعاناة ويسمَّى جهنم أيضا". (الملفوظات مجلد ٢)

فحين يتورط الإنسان في الذنوب يتعرض في العالم الآخر لعقاب إلهي إن لم يواجهه في هذه الدنيا. ولذلك قال اجتنبوا الشرك لأن الشرك ذنب عظيم، والقرآن الكريم أيضا قد نصح في عدة مواضع باجتناب الشرك، فقد قال الله ﷻ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وهو ما فسره المسيح الموعود عليه السلام. فعندما كان النبي ﷺ يأخذ البيعة كان يركز كثيرا على اجتناب الشرك بوجه خاص.

فقد ورد في رواية أن النبي ﷺ حين أخذ بيعة العقبة، يقول الذين بايعوه يومذاك أنه ﷺ ركز بوجه خاص على اجتناب الشرك.

قال أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللَّهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مِنْ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: "تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ (ومعلوم أن كل ما كان النبي ﷺ يقوله هو من المعروف حتما إذ كان قد جاء بالشريعة، وكان كل قول له من المعروف. ومع ذلك اتخذ الحذر، إذ بعض الناس يعترضون ويقولون إنما أُمرنا بالطاعة في معروف، فالمعروف هو كل ما يوافق القرآنَ والشريعة. وهذا ما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لمبايعيه، وبذلك يأخذ خلفاء المسيح الموعود عليه السلام بعده، أنهم – أي المبايعين – سيطيعونهم في المعروف، والمعروف هو ما يوافق ما أمر الله به ورسولُه)

فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ (أي لم يعاقَب على ذلك) فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ (بعد الموت) وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ". قَالَ فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ. (صحيح البخاري)

فقد بيَّن حضرته بكل وضوح في كلمات البيعة التي في ضوئها قد أخذ منا المسيحُ الموعود عليه السلام البيعة، أننا لن نشرك ولن نتكلم عن أمور خاطئة، ونقدم نموذجا كاملا للطاعة، ولن نرتكب أية جريمة، لأننا إذا ارتكبنا هذه الأمور فقد قال ﷺ إن الله إذا عاقبكم عليها في هذه الدنيا فستنجون في العالم الآخر، وإن لم تواجهوا العقوبة في هذه الدنيا ففي العالم الآخر يمكن أن يعاقِب ويمكن أن يغفر، فهو أعلم بذلك والإنسان لا يعلم به، لذا ثمة حاجة للاستغفار الكثير للنجاة. لذا يجب أن نسعى جاهدين دوما ألا يصدر منا أي

تصرف يبعدنا عن عهد البيعة. فقد عقدنا عهدا ولا بد من إنجازه، وإن لم نفعل فيمكن أن يعاقبنا الله على ذلك فهو قادر على ذلك.

وكذلك قد ورد في حديث عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قال خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فنزل علينا المطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ ثم أقبل علينا وقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم"، (فقد تكلمت مع الله في الصلاة) قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: "قد قال ﷻ أصبح عبادي وبعضهم آمنوا بي وبعضهم كفروا. (فانظروا: إنهم كانوا يصلُّون خلف رسول الله ﷺ، ومع ذلك يقول الله تعالى فيهم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.) ثم قال ﷺ: "فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ"، أي أنه ينكر وجود الله تعالى.

لقد علَّمنا النبي ﷺ نفي الشرك بأدقِّ عبارة وأرقِّها. وكان ذلك في زمن كان فيه بعض الناس حديثي العهد بالإسلام، فلا يزال يؤثر فيهم ما اعتادوه من تقاليد آبائهم أو دينهم السابق، فيميل بعضهم إلى الشرك –ولو كان خفيًّا– فيظن أنه إذا قال عن النجوم شيئًا فلا بأس فيه. ولكن رسول الله ﷺ قال بأنه شرك بالله. يقول الله تعالى بأنكم إذا رأيتم نعمة الله –كالمطر أو غيره من أفضال الله تعالى– فانسبوه دائمًا إلى الله تعالى، وفي ذلك نجاتكم. وحتى يكون المرء موحدًا ينبغي ألا يصدر منه أي قول أو فعل فيه أدنى شائبة من الشرك. كيف كان حال النبي ﷺ نفسه؟ فقد أمرَه الله تعالى في القرآن الكريم أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

فالحقيقة أنه تعليم لنا نحن لنحذر الشرك كله ونجتنبه اجتنابا تاما. أما رسول الله ﷺ فكان مجتنبًا للشرك، وكأنه بذلك قد قال للناس: إن كنت أنا كذلك، فعليكم أن تكونوا كذلك أيضا. فعلينا أن نقتدي بأسوته ﷺ، فإنه تأكيد ونصيحة لنا.

أما ما ذكره المسيح الموعود عليه السلام عن الشرك في ضوء هذه الآية المذكورة، فلقد قال حضرته:

"يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم تعليما يمكن للإنسان أن يحظى بسببه وبالعمل به برؤية الله في هذه الدنيا، فيقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. أي مَن سرّه أن يحظى في هذه الدنيا برؤية الله الإله الحق والخالق الحقيقي، عليه أن يكسب أعمالا صالحة لا يشوبها فساد، أي يجب ألا تكون تلك الأعمال رياءً للناس ولا تخلق الكبر في قلب صاحبها فيقول إني كذا وإني كذا، وألا تكون تلك الأعمال ناقصة غير كاملة، وألا تفوح منها رائحة تنافي الحب الخالص، بل يجب أن تكون مفعمةً بالصدق والوفاء. وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يجتنب صاحبها الشرك بكل أنواعه، فلا يشرك بالله الشمسَ أو القمر أو نجوم السماء أو الهواء أو النار أو الماء أو أيّ شيء آخر في الأرض، وألا يُعلِّق آمالا على الأسباب الدنيوية ولا يعتمد عليها وكأنها شركاء لله. وألا يعوِّل على قواه ومساعيه الشخصية؛ لأن

ذلك أيضا نوع من أنواع الشرك. بل يجب عليه أن يعدَّ – بعد القيام بكل الأعمال– كأنه لم يفعل شيئا. فلا تزهوا بعلمكم ولا تستكبروا لعمل من أعمالكم، بل ينبغي أن تعدّوا أنفسكم جاهلين وغير فاعلين في الحقيقة. ولتكن الروح خاضعة على عتبات الله دائما، وينبغي جذب فيوض الله بالأدعية. وأن تكونوا كالعطشان الظامئ فاقد اليدين والقدمين، الذي تتفجر أمامه عين ماء زلال مَعين، فيصل إليها بصعوبة بالغة؛ فينهض حينا ويسقط أحيانا حتى يضع شفتيه على الينبوع، ولا ينفصل عنه ما لم يرتوِ".

فمعيار النجاة من الشرك هو أن لا نعبد في أي حال أي صنم ظاهر، وهذا لا يفعله المسلمون عادة، ولكن عبادة القبور لا تزال موجودة بين المسلمين، وهذا شرك ظاهر. كذلك لا يجوز أن نعتمد على أسبابنا ومسؤولينا ووسائلنا وعقلنا اعتمادا كاملا. بل يجب أن ننسب كل نعمة ننعم بها أو كل فضل يصلنا من الله تعالى. فمتى كانت هذه الحالة، كان الإنسان موحدا حقا وبعيدا عن الشرك.

وقد قال حضرته في موضع آخر: "مثل العمل الصالح كمثل طائر، إن وضعته في قفص الصدق والإخلاص، فإنه يبقى محفوظًا، وإلا طار". كذلك يجب أن تحفظوا أعمالكم الصالحة في قفص الإخلاص، وهذا لا يحصل إلا بفضل الله تعالى.

يقول حضرته: "يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا﴾ والمراد من العمل الصالح هنا هو ألا تشوبه شائبة السيئة قط، بل يسوده الصلاح فقط". يجب ألا يكون هناك عُجب ولا كبرٌ ولا نخوة ولا استكبار، ولا شائبة من الأهواء النفسانية، كما ينبغي ألا يعتمد المرء على الخلق. بل وقال حضرته: "إذا كان أحد يحب الله تعالى ويجتنب الشرك كليًّا فلا تكون أعماله من أجل الجنة أو الجحيم، بل تكون أعماله نابعة عن حب الله تعالى.

ولكن لو تخللتها أهداف أخرى لتعثّر. (فإن كانت أعماله هادفة إلى شيء آخر غير حب الله فلا يمكنه اجتناب الشرك. ولا يمكن أن يكون المرء موحدًا كاملا، ولا يستطيع أن يعمل عملا صالحًا، بل سيتعثر) وهذا هو الشرك بعينه لأنه لا فائدة من الصداقة والحب المبني على فنجان قهوة أو حب زائف آخر. عندما يلاحظ هذا الإنسان الفتور في هذا الحب يقطع العلاقة فورا. (أي إن مثل هذا الإنسان يظل خاضعا أمام الله تعالى ما دام يتلقى المنافع الدنيوية، وإذا لاحظ انقطاعًا فيها يقطع علاقته معه. لذلك لكي ينجو الإنسان من الشرك ويصبح موحدا كاملا لله تعالى ويحصل على تعلق كامل به، فيجب عليه أن يدعو دائما بدعاء حسن العاقبة، ويقول: اللهم لا تجعل قلبي يبتعد عنك إذا حُرمت بعض المنافع الدنيوية. فبعض الناس يكتبون أنهم كانوا يصلون ويدعون في السابق، ولكن حدثت بعض الظروف التي أدت إلى تضاؤل شغفهم بالصلاة وبالتالي لم يبق فيهم اليقين بالله تعالى إلى الحد المطلوب. والسبب أنهم كانوا يطلبون من الله تعالى حاجاتهم الدنيوية فقط، وليس حبا خالصا لله تعالى. إذن، ما لم نرتبط بالله تعالى بحب خالص، فإننا عرضة للسقوط في الشرك في أي وقت. يقول حضرته:) والذين ينشئون مع الله علاقة لينالوا

مالا أو أولادا أو لينجحوا في أمور كذا وكذا تكون علاقاتهم مؤقتة ويكون إيمانهم في خطر، بحيث كلما أصيبت أهدافهم الشخصية بصدمة ما ولم تتحقق أغراضهم فَتَرَ إيمانهم. لذا فالمؤمن الصادق هو ذلك الذي لا يعبد الله لهدف معين بل يعبد الله تعالى من أجل حبه".

وكذلك لقد علمنا الله تعالى ثلاث سور في آخر القرآن الكريم، ومنها سورة الإخلاص. فقد قال رسول الله ﷺ: ينبغي أن يقرأها الإنسان عندما يأوي إلى فراشه، فإنها تطهره من السيئات وتبعده عن الشرك. أي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"انظروا الآن كيف تنزه هذه السورة الوجيزة الله تعالى من كل أنواع الشراكة بكل دقة وحسن بيان".

ثم قال حضرته في تفسيرها: "الحسْن بطبيعته شيء تنجذب إليه القلوب تلقائيًا، (أي إذا رأى الإنسان الحسن والجمال فبالطبع ينجذب إليه) ويحب الإنسان بطبعه رؤيتَه. وحُسن الله هو وحدانيته وعظمته وجلاله وصفاته ..(ما هو حسن الله تعالى؟ هو كونه واحدًا وعظمته وجلاله)، كما يقول في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أي أن الله في ذاته وصفاته وجلاله أحد متفرد .. لا شريك له في ذلك أصلا. الجميع محتاجون إليه. كل ذرة من الكون تستمد منه الحياة. إنه تعالى مبدأ الفيض للكل، أما هو فلا ينال أي فيضٍ من أحد. (وهو لا يحتاج إلى أن يستفيض من أحد لأنه مالك كل شيء) إنه ليس بولد لأحد، ولا بوالدٍ لأحد. وكيف يكون كذلك وليس لأحدٍ ذاتٌ مثل ذاته؟ لقد عرض القرآن الكمالَ الإلهي والعظَمة الإلهية مرة بعد أخرى لتنبيه الناس إلى أن مِثل هذا الإله يكون بغيَة القلوب، لا مَنْ هو ميت وضعيف وقليل الرحمة والقدرة".

فما ذكرته لكم الآن باختصار، فقد بينه حضرته بالتفصيل في مواضع كثيرة، وهو أن تطهروا أنفسكم من الشرك تطهيرا كاملا. وإذا فعلتم ذلك استطعتم أن تؤدوا حق بيعتي، ومتى أديتم حق البيعة استطعتم أن ترفعوا أنفسكم إلى ذلك المستوى الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في بيعتهم مع رسول الله ﷺ، وعند ذلك تستطيعون أن تستفيضوا بفضل الله تعالى وبركاته. لقد كان رسول الله ﷺ يحذر أمته من الشرك بمثل هذه الدقة، حتى إنه جاء في الحديث أنه عندما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم، حدث كسوف للشمس. فقال الناس: إنما كسفت الشمس لوفاة إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ".

ووفق أمر النبي ﷺ نصلي صلاة الكسوف والخسوف أيضا.

لقد أعلن النبي ﷺ بأنني أقف في المقدمة لمحاربة الشرك ورفع الصوت ضده، وجئت بالتعليم الذي يحذر منه، ولكنكم ترفعون ابني إلى مرتبة تفوح منها رائحة الشرك، وتجعلون ابني وسيلة للشرك. كيف يمكن هذا؟ تذكروا أن موت أحد أو حياته ليس سببا في كسوف الشمس أو خسوف القمر.

لقد نصحنا حضرة المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر قائلا: "إن القرآن الكريم قد كتب لكم أحكاما طاهرة، منها أن تجتنبوا الشرك اجتنابا كليًّا لأن المشرك محروم من ينبوع النجاة. ولا تكْذبوا فإن الكذب جزء من الشرك". (سفينة نوح)

قال حضرته في موضع:

"الشرك ثلاثة أقسام، الأول عبادة الأوثان أو الأشجار وأشياء أخرى بوجه عام. هذا القسم شائع ومعروف. (الآن نرى في اليابان أو في بعض الأديان الأخرى، وفي بعض الأديان التقليدية في أفريقيا، أنهم جعلوا الكثير من الأحجار والأشجار وغيرها وسيلة للعبادة والشرك أيضًا. فيذهبون أمامها وينحنون بل ويسجدون لها. وهذا هو أعمّ أنواع الشرك)

والقسم الثاني هو الثقة بالأسباب أكثر من اللازم، كأنْ يقول المرء: لو لم يتم أمر كذا وكذا لهلكتُ، (أو لو لم أحصل على كذا لهلكتُ. لو لم يكن ذلك السبب لما أُنجز عملي كذا) هذا أيضا شرك.

والقسم الثالث هو أن يحسب المرء نفسه شيئا يُذكر مقابل الله تعالى. فيما يتعلق بالشرك الشائع بوجه عام فلا يرتكبه أحد في الزمن الراهن، زمن التنوير والعقلانية. (إلا بعض الأديان التقليدية كما قلتُ، وحتى فيها قليل جدًا من الناس مبتلون بذلك. عمومًا المتعلمون منهم، سواء كانوا مؤمنين بالله أو غير مؤمنين، قليل جدًا منهم من يقع في هذا النوع من الشرك الجلي.) يقول حضرته: أما الشرك في الأسباب فقد تفاقم كثيرا في زمن التقدم المادي هذا". (الملفوظات ج٣)

في زمن التقدم المادي، ازداد الشرك بالأسباب كثيرًا. أي جعل الأشياء في مقابل الله تعالى – هذا النوع من الشرك ازداد كثيرًا. أصبح الإنسان يعتمد على الأسباب، ولم يبقَ له توجه إلى الله تعالى، وأصبح الناس ينظرون إلى الأسباب. فحاولوا أن تتجنبوا ذلك.

ثم قال حضرته ناصحا:

"اعلموا إن الله لا يريد أن يشرَك به أحدٌ. بعض الناس يُبقون جزءا كبيرا لشركائهم ويحدِّدون نصيبا لله أيضًا ولكن الله لا يقبل مثل هذا النصيب، بل يريد الكلَّ. (يريد أن تكونوا له كليا) لا يُغضبه عمل أكثر من الإشراك به، فلا تجعلوا نصيبًا لشركائكم ونصيبًا لله. يقول الله تعالى: سأغفر الذنوب جميعا إلا الشرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٩).

تذكَّروا أن الشرك لا يقتصر في أن يعبد الإنسان الأوثان والأصنام المنحوتة من الحجر، فهذا أمر واضح ولا يُقبل عليه غيرُ السفهاء، أما العاقل فيستحيي منه. الشرك دقيق جدًّا. الشرك الذي يهلك عادة هو الشرك في الأسباب، أي أن يُفرط الإنسان في الاعتماد على الأسباب لدرجةٍ وكأنها صارت مطلوبه ومقصوده. (وكما قلتُ هذا النوع من الشرك قد عمّ في هذه الأيام) والذي يؤْثر الدنيا على الدين إنما يفعل ذلك لأنه يعتمد على الأسباب الدنيوية، ويرجو منها ما لا يرجو من الدين والإيمان. (أود أن أشير هنا بشكل عابر

إلى أن أكثر النساء الأحمديات، بفضل الله تعالى قويات جدًا في إيمانهن، لكن بعضهن يخلعن الحجاب بحجة أنهن جئن إلى هذا المجتمع الذي فيه خوف من الدنيا أو خوف من فقدان الوظيفة. مثل هؤلاء النساء أو الفتيات واقعات في الشرك الخفي، بل في الشرك الظاهر أيضًا، لأن الله تعالى يقول: سأرزقكم من حيث لا تحتسبون ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(الطَّلَاق ٣-٤).)

يقول حضرته: الناس مثلهم يحبون الفائدة الفورية ويُحْرمون الآخرة. (وأحياناً بعض الأزواج أو الرجال يقولون لزوجاتهم ونسائهم: اخلعن الحجاب. وهم أيضاً يفعلون ذلك بسبب نفس الخوف والقلق: ماذا سيقول الناس؟ كيف سنعيش في هذا العالم؟ كيف سنتقدم؟ كيف يمكننا أن ندمج أنفسنا في هذا العالم، ونندرج فيه، ونختلط به؟ فكل هؤلاء يقعون في الشرك، والرجال شركاء في ذلك أيضًا، وليس النساء وحدهن.)

يقول حضرته: الناس مثلهم يحبون الفائدة الفورية ويُحْرمون الآخرة. حين يعُدُّ المرء الأسبابَ مدارَ نجاحاته كلها يحسب وجود الله لغوا محضا وعديم الجدوى. ينبغي ألا تفعلوا ذلك أنتم. بل يجب أن تتوكَّلوا. (حينها ستُرزقون كثيرا)". (الملفوظات ج٤)

ثم بين حضرته شيئا مهما فقال: "إن جملة "لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد، ومعناها أنه لا يستحق العبادة والطاعة الحقة أحدٌ سوى الله تعالى. لو كان الله محتاجا إلى غيره لنشْر التوحيد أو جعْل غيره شريكا في هذا العمل، للزم الشركُ. وإنما السر في إضافة جملة "محمد رسول الله" إلى "لا إله إلا الله" أن يكتمل درس التوحيد، ويعلم أهلُ الدنيا أن كل ما يأتي فإنما يأتي من الله في الحقيقة، فالنبي ﷺ هو مبلغ التوجيهات إلى المخلوق بعد تلقِّيها من الله، وأن كل ما يأتي من ذلك الطرف فإنما بهذا الطريق حصرا". (الملفوظات ج١٠)

كما سبق ذكره، فإن الشرك لا يقتصر على عبادة الأصنام المصنوعة من الحجارة، بل من أنواعه أيضًا أن يترك الإنسان الاعتماد على الله تعالى ويعتمد على الأسباب وحدها، وهذا نوع خطير من الشرك. لذلك ينبغي لنا أن نجتنب هذا النوع من الشرك دائمًا. ولهذا يجب أن نسعى في كل عمل نقوم به، وفي كل كلمة ننطق بها، إلى أن نتنبه لئلا تكون تلك الكلمة سببًا في إبعادنا عن الله تعالى وتقريبنا من الشيطان. فيجب أن نراعي هذا الأمر دائمًا. فإذا فعلنا ذلك، كنا قد وفينا بعهد البيعة، وحققنا الغاية من مجيء المسيح الموعود عليه السلام؛ لأن هدفه الأساسي كان إقامة توحيد الله تعالى في العالم والقضاء على الشرك.

إن الله تعالى قد وعد المسيح الموعود عليه السلام بأنه سيرزقه الفتح، ولا ريب أنه تعالى سيحقق له هذا الوعد. ولكن إذا أردنا أن نكون جزءًا من هذا الفتح، فعلينا أن نظهر توحيد الله تعالى بصدق وإخلاص، ونعمل بمقتضاه، وأن نحافظ على عباداتنا، وأن يكون ظاهرنا أيضا خاليا من كل شائبة من شوائب الشرك.

لقد أسدى المصلح الموعود نصيحة رائعة في موضع حيث قال: فيا أيتها الأمة الأحمدية، ليست لله علاقة قرابة معنا، فاجتنبوا الشرك واعبدوه ليكون الله وليا لكم. انظروا أن الله تعالى لم يبالِ حتى بابن نوح عليه السلام،

فمن الغباوة أن يفرح المرء على مجرد انتمائه إلى الأحمدية، بل يجب أن تكسبوا أعمالا لتستحقوا أن تكونوا أحمديين. كذلك انظروا إلى ما آلت إليه حالة قرية لوط بسبب كفرها، ولكن لوطا عليه السلام نجا لأنه كان عبدا شكورا. وقد حدث مع زوجة لوط مثل ما سبق ذكره لأنها كانت من الكافرين. ثم يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، هنا أورد الله تعالى كلام لقمان بأن ذلك الحكيم قال لابنه -وكان من المفروض أن يقول له قولا حسنا- لم يقل بصورة عادية بل قال ناصحا له لتكون حياته المستقبلية حسنة فقال: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. أي كم هو ظلم عظيم أن نشرك بالله غيره، الذي يمن علينا أصناف المنن وهو قادر على أن ينفعنا أو يضرنا. يجب أن يكون معروفا هنا أنه ليس المراد من اجتناب الشرك أن يقول المرء بلسانه: "لا إله إلا الله" فيتطهّرُ. بل يقول لقمان أن أنقِذ نفسك من كل نوع من الشرك، سواء أكان جليا أم خفيا. (ينبوع التوحيد)

ومن سوء حظ المسلمين أيضًا أنهم يرددون شهادة "لا إله إلا الله"، أي أنه لا معبود إلا الله، ولا أحد سواه يستحق العبادة، ولا يمكن أن يتصف أحد بصفات الله تعالى، فهو وحده القادر المطلق. ومع ذلك، نجد بين المسلمين صورًا متعددة من الشرك؛ فمنهم من يقصد القبور، فيعظمها تعظيمًا يصل إلى حد العبادة، ويسجد أمامها. وهناك فئة كبيرة من الناس، في باكستان والهند وغيرها من البلدان، ينحنون أمام هذه القبور، ويعتقدون أن التوسل إلى الأولياء والسجود عند قبورهم كفيل بقضاء حوائجهم. فهم، من جهة، يرددون: "لا إله إلا الله"، ومن جهة أخرى يرتكبون الشرك. لهذا بعث الله تعالى في هذا الزمان المسيح الموعود عليه السلام، ليخوض جهادًا ضد الشرك، وليؤسس جماعة طاهرة تجتنب الشرك اجتنابًا كاملًا. وقد قلت من قبل إن بعض كبار العلماء والمولويين أيضًا يقعون في هذا الشرك أحيانًا. فواجبنا إذًا أن نجتنب كل أنواع الشرك. بعض المولويين من غير الأحمديين يذكرون في خطبهم أن فلانًا من الأولياء له كذا من الكرامات، وفلانًا له كذا، حتى يصل بهم الأمر إلى الشرك.

نحن لا نقع في الشرك الظاهر، ولكن ينبغي لنا أن نجتنب الشرك الخفي أيضًا، لأنه قد يتسلل إلى القلوب أحيانًا من حيث لا نشعر. فإذا حرصنا على ذلك، استطعنا أن نؤدي حق البيعة، وأن نكون بحق من أنصار المسيح الموعود عليه السلام وأعوانه.

ثم قال حضرته: "إذا كنتم قد دخلتم في بيعتي، فاجتنبوا جميع أنواع الفساد، واجتنبوا الكذب؛ فإن الكذب أيضًا من أعظم الجرائم". وفي هذا السياق ذكر المسيح الموعود عليه السلام، وقد ورد هذا الحادث في مواضع عدة، أنه قال: "إن الناس يظنون أنه لا يمكن للإنسان أن يجتنب الكذب، ولكن عندما رُفعت ضدي قضية البريد، وأقام مسؤول البريد دعوى عليّ، قلت الصدق أمام القاضي، فاعترفت بأنني فعلت ذلك، لكن ليس بقصد الإضرار بالدائرة، وإنما لأنني لم أكن على علم بالأمر، ولذلك وقع مني ما وقع. فببركة

صدقي، أكرمني الله تعالى وأظهر براءتي. وقد وقعت مناسبات عديدة أخرى نجّاني الله تعالى فيها من شرور الناس بسبب التزامي بالصدق".

ونحن نرى في عالم اليوم أن الكذب قد أصبح هو السائد. فانظروا إلى السياسة الدولية، وإلى السياسات الداخلية للدول، وإلى العلاقات الاجتماعية بين الناس؛ إذ يظن كثيرون أنه لا يمكن إنجاز أي عمل من دون اللجوء إلى الكذب. بل إن الكذب قد تسلل حتى إلى ساحات القضاء، فيكذب بعض القضاة والمحامين، وتصدر أحيانًا أحكام مبنية على الكذب. وأصبح الناس يعتقدون أنه يستحيل أن يوجد شخص يلتزم الصدق التزامًا كاملًا، حتى إذا صدق أحدهم، ظنوا أنه لا بد أنه كذب في موضعٍ ما، وأنه لا يمكن أن يخلو كلامه من شيء من الكذب. لقد ذكر المصلح الموعود أيضا هذا الأمر في موضع بطريقةٍ جميلة جدًّا، حيث قال: إن في مثل هذا الوضع، عندما يشيع الكذب، فإن الصادق نفسه يصاب بالقلق من أن يظنه الناس كاذبًا، فيبدأ هو أيضًا في الكذب. لكن المؤمن ينبغي أن ينظر إلى ما هي الحقيقة، وما هو الصدق، ولا ينبغي أن ينظر إلى ما يقوله من حوله من الناس. يجب أن نفكر فيما يقوله الله لنا؛ فإن لم نفعل ذلك، فإن إيماننا لن يكون كاملًا. وحينئذٍ يكون ادعاؤنا بأننا آمنّا وبايعنا من أجل إصلاح أنفسنا ادعاءً باطلًا؛ فنحن لم نبايع من أجل إصلاح أنفسنا. وإن كنا لا نخطو خطوات نحو الإصلاح، فربما نكون قد بايعنا لغرضٍ آخر. لذلك، يجب على الأحمدي أن يجتنب كل أنواع الفتنة والفساد، وأن يتجنب الكذب. وإلا فلا نستطيع القول إننا قد بايعنا المسيح الموعود عليه الصلاة السلام لإصلاح أنفسنا ولكي نعمل على إصلاح العالم أيضا، ولكي نكون أنصارا وأعوانا للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في تكوين جماعة طاهرة.

لقد ذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ أمرًا جميلا جدا، وقد أشرت إليه من قبل في جملة أو جملتين. لقد بين حضرته في إحدى الخطب بإسهاب أن ملكوت الله لن يقام في الأرض إلا إذا ما خاف المرء عند الإدلاء بشهادة صادقة أباه ولا ابنه ولا أُمَّه ولا زوجته ولا أخاه ولا صديقَه ولا أحدًا من أقاربه الآخرين.

والواقع أن الأب لا يكذب إلا لأنه يعلم أن ابنه سيؤيده أو أن زوجته ستدعمه فيما يقول، أما إذا خاف المرء أنه إذا كذب أو أجرمَ وتماثل أمام المحكمة فإن ابنه سيقول في شهادته إن أبي يكذب، والواقع على عكس ما يقول، فإنه لن يكذب أبدًا. وعندها لن يكذب الزوج، ولن يكذب الابن، ولن تكذب الزوجة، ولن يكذب الأخ، ولا أحد من الأقارب الآخرين، وعندها سيتشكل مجتمع يكون أساسه على الصدق، مجتمعٌ يقيم حكمَ الله فقط. سيتشكل بيننا مجتمع قد بُعث لتشكيله سيدُنا المسيحُ الموعود عليه الصلاة والسلام خادما مخلصا للنبي ﷺ، وقد بايعناه لأجل مثل هذا المجتمع. تصلني في هذه الأيام قضايا كثيرة يكون أساسها الكذب الذي يريد به أصحابه الفوز فيها. فهذا الشيء لا بد لنا من تركه في كل حال،

لأن الكذب أيضا ينجرّ بصاحبه إلى الشرك. ولاجتناب الشرك لا بد من اجتناب الكذب وإرساء الصدق. إذا أدرك الإنسان أن كذبه لن ينفعه شيئا، فلن يكذب، وهكذا تقام حكومة الصدق والحق في العالم.

لقد بين المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في مواضع كثيرة أن الناس يظنون أن الكذب ينجيهم، ولكن لو علم المرء أنه لن ينجو بالكذب بل سيعاقب، لأنه لن يجد بين أقاربه ومعارفه من يؤيد كذبه، فإنه سوف يصدق القول يقينا. لقد ركز الأنبياء دائما تركيزا خاصا على التحلي بالمحاسن الخُلقية، والصدقُ جزء كبير من القيم الخُلقية. فلا بد لنا من التحلّي بالصدق خاصة في هذا العصر الذي قد تفشى فيه الكذب في كل مكان. وكما قلت من قبل فإننا نرى في هذا الزمان أن الكذب لجلب المصالح السياسية والقومية لا يُعَدّ كذبا، بل يرونه أمرا ضروريا، مع أننا لو تدبرنا وجدنا أن الكذب مناف للفطرة. لو أجلتم النظر في العالم اليومَ، فلن تجدوا أيا من الساسة أو الزعماء الدنيويين يستطيع القول إنه يؤسس كلامه على الصدق مئة بالمئة. إن أوضاع عالم اليوم تكشف بجلاء أن الكذب، والكذب فقط، هو أساس كل أمر، أما الذي يصدق القول ويبين الحقيقة فإنه يعاقَب، وتتحد كل البلاد ضده وتتكلم ضده، وترفع عليه القضايا وتثير الضجة ضده. فيمكنكم، والحال هذه، تقدير حجم مسؤولية الأحمديين اليوم للقيام بالجهاد ضد الكذب ولإرساء التوحيد في العالم.

يكذب الناس لأنهم لا يؤمنون بالله تعالى، ويظنون أن بقاءهم في الكذب. إنهم يجعلون الكذب ندًّا لله تعالى وهكذا يصبحون مشركين. فإذا أردنا إحداث انقلاب وثورة في العالم اليوم، وأردنا أداء حق بيعتنا، فلا بد لنا من الجهاد ضد الكذب كما قلت آنفا.

ومن المساوئ التي ذكرها المسيح الموعود عليه السلام واشترط على المبايع تركها عدم غض البصر. لقد قال إن من يبايعني عليه أن لا يسيء استخدام بصره، فلا ينظر إلى أي من غير المحارم. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إن القرآن الكريم لا يعلّمنا، كما تعلّم المسيحية، بأن لا تنظر إلى غير المحارم بنظرة سيئة، بل يقول القرآن الكريم لا تنظر إليهن لا بشهوة ولا بدون شهوة، ولا تستمع لكلامهن الناعم الذي ينحرف بالأفكار عن جادة الصواب، ولا تسمع قصص جمالهن، فإنكم إذا تجنبتم هذه الأمور وُقيتم العثارَ. هذه هي المساوئ المنتشرة في مجتمع اليوم، والتي بسببها يقع كثير من الناس في المنكرات. تتفكّك اليوم البيوت بسبب تفشي هذه السيئة بين الناس. يقول المسيح الموعود عليه السلام: "قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، أي قل للمؤمنين أن يكفوا أنفسهم من رؤية غير المحارم وأن يحفظوا آذانهم، ويستروا عوراتِهم، أي أن يمنعوا آذانهم أيضا من سماع صوت النساء الناعم وقصص جمالهن، لأن هذه الطرق كلها تؤدي إلى الزلل".

يقول عليه السلام: "ومن أجل ذلك لم يبق هناك حياء، بل بلغ عدم الحياء منتهاه". ولذلك قد تفشت كثير من السيئات فيما يسمى بالبلاد المتقدمة.

وقال عليه السلام: "اعلموا أن مَن ينظر إلى النساء غير المحارم بحرية سينظر إليهن بسوء النية أيضا في نهاية المطاف، لأن أهواء النفس موجودة في طبع كل إنسان، وتخبرنا التجربة بصوت عال بل صارخ أن النظر إلى الأجنبيات لا تكون عاقبته محمودة قط". وقال عليه السلام: "يجري نهر من الخلاعة بحيث يستحيل معه أن يحمي المرء آذانه ولا عيونه ولا يده ولا فمه من السيئات".

وهذا هو الأمر الواقع الذي نراه في هذا العصر. نجد هذا الأمر شائعا في كل مكان، في التلفاز والنت ووسائل التواصل الاجتماعي والصحافة المطبوعة والجرائد كلها، إذ يظنون أنهم ما لم يفشوا الخلاعة والفاحشة ولم يعرضوها للناس فلن يُقبِل القوم على الصحافة المطبوعة، ولن تباع جرائدهم، ولن تكسب وسائل التواصل الاجتماعي أي شعبية، ولن يتمكنوا من لفت أنظار القوم إليهم إلا إذا نشروا صورا خليعة للنساء. ولكن تفكير الأحمدي يجب أن يكون خلاف ذلك. فعلينا أن نجتنب كل هذه السيئات المتفشية في المجتمع، وليس ذلك فحسب بل لا بد لنا من القيام بالجهاد ضدها. لقد انتشرت الآن هذه السيئات انتشارًا بدأ يوقظ في بعض النساء من هذه البلاد المتقدمة أيضا الشعور فجعلهن يثرن ضجة يطالبن فيها بسن قانون ضد الاعتداءات التي تتعرض لها النسوة، ويقلن بأن سبب كل ذلك هو أننا قد صرنا قليلي الحياء باسم الحرية.

وما دامت هذه السيئات تُرتكب في القوم فلن يفكروا في الله تعالى. فهناك حاجة ماسة، والحال هذه، إلى أن ينتبه الأحمدي إلى هذا الأمر جيدا ويدرك خطورة الموقف ويهتم بإصلاح نفسه.

الموضوع قد طال، لذا أذكر بعض الأمور الأخرى بإيجاز. يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "هناك خمسة أمور لكي ينال المرء العفّة. أي هناك خمس وصفات وصفها الإسلام لنا لعلاج ذلك، أوّلُها غضُّ البصر وحماية العيون من رؤية غير المحارم؛ وثانيها حفظُ الآذان عن صوت غير المحارم الناعم والسيء، وثالثها عدمُ سماع قصصهن المثيرة للعواطف والمشاعر؛ ورابعها حمايةُ النفس من كل المواطن والمواقع التي فيها مظنة الإثم؛ وخامسها أمر يخص الشباب، وهو أن عليهم الصيام إذا كانوا لا يستطيعون الزواج حاليا، لكي لا يشبعوا رغباتهم بطريقة خاطئة".

وأحيانا يتفشى مرض آخر في الشباب، فإنهم بعد الزواج أيضا يتصرفون تصرفات خاطئة نتيجة صحبة سيئة، وبدلاً من أن يهتموا بزوجاتهم اللاتي في بيوتهم يذهبون هنا وهناك وينشئون الصداقات. وهذا تصرف خاطئ تماما ولا يليق بالأحمدي. لو عملنا بهذه الوصفات الإصلاحية التي فصّلها المسيح الموعود عليه السلام، فسوف نتخلص من كل هذه العادات السيئة التي من شأنها أن تدفعنا إلى هوّة الانحطاط والدمار.

وقد أوضح عليه السلام هذا الأمر أكثر فقال:

"وهنا نعلنها مدوّيةً بأن الإسلام وحده يمتاز بهذا التعليم الأسمى والمقرون بكافة التدابير اللازمة، والمذكور في القرآن المجيد. وثَمّة حكمةٌ جديرة بالذكر هنا، وهي أن الحالة الطبْعية التي هي منبع الشهوات، والتي لا

يتحرر منها الإنسان إلا بعد تحول كامل، إنما تتمثل في أن نزعاته الشهوانية لا تلبث أن تهيج عندما تجد مواقعَ الإثارة، أو بألفاظ أخرى إنها تصبح في خطر شديد عندئذ، ولذلك لم يعلّمنا الله بأن ننظر إلى المحارم بلا حرج، ونتطلع إلى مفاتنهن وأماكن زينتهن، ونشاهد رقصهن وما إلى ذلك حتى بالنظر الطاهر؛ وكذلك لم يَسمح لنا الله تعالى أن نسمع من الأجنبيات الشابات غناءهن وألحانهن، أو نستمع لقصص حسنهن وجمالهن ولو بنية صالحة. كلا،

بل قد أوصانا الله تعالى بألا ننظر إلى غير المحارم ولا إلى أماكن زينتهن أبدا، لا بالنظر الطاهر ولا بالنظر الخبيث؛ وألا نسمع أصواتَهن ذات اللحن والغناء، وألا نسمع قصص جمالهن، لا بالنية الصالحة ولا بغير الصالحة، وذلك لكيلا نتعثر".

إن المعترضين هنا يرفعون عقيرتهم لصالح النساء في زعمهم قائلين إن الإسلام قد جعل النساء حبيسات حيث أمرهم أن يحتبسن في الحجاب، ويقولون ما دام الإسلام أمرهن بألا يبدين زينتهن، فهذا يعني ألا يخرجن من البيوت أيضا. وقد قال المسيح الموعود عليه السلام ردًا على هذا الاعتراض: "يظن الناس أن الحجاب الإسلامي ظلمٌ على النساء. كلا بل هذه هي الحكمة من الحجاب الإسلامي، وهذه هي الهداية الشرعية فقط. ليس المقصود بالحجاب في كتاب الله اعتقالَ النساء وحبسهن كالأسارى، ذلك ظن الجهلة الذين لا يعلمون عن مبادئ الإسلام شيئا. إنما المقصود من الحجاب الإسلامي كفُّ النساء والرجال جميعا عن إلقاء نظراتٍ حرة، وعن كشفِ زيناتٍ للجانب الآخر وعن تبرُّجِ الجاهلية. وليكن معلوما أنّ غضّ البصر في لغة العرب يعني أن ينظر الإنسان بعين فاترة بحيث يصون نظرَه عما لا تحِلّ رؤيته، وألا ينظر إلا إلى ما يجوز النظر إليه (أي أن غض البصر هو النظر إلى الجنس الآخر عند الحاجة، ولكن بعين فاترة، وليس بنظرة طليقة فاحصة).

وكل عفيف يريد أن يظل قلبه طاهرا فلا ينبغي له أن يطلق بصره حيث يشاء من دون قيد ولا ضابط كالحيوانات، بل عليه أن يُعوّد نفسَه غَضَّ البصر في هذه الحياة المتمدنة، وبهذا السلوك المبارك تتحول عادته الطبْعية هذه إلى خُلقٍ عظيم دون أن يتعارض ذلك مع ضرورات حياته الاجتماعية شيئًا. وهذا هو الخُلق الذي يسمى الإحصان والعفّة".

ثم هناك نوع آخر من الشر، وهو الفسق والفجور والفساد، وقد أمر عليه السلام باجتنابه، فقال: "إذا وجدتم مجالس يُرتكب فيها الفسق والفجور، فاتركوها ولا تجلسوا فيها".

كذلك نهى عليه السلام عن الخروج على الحكومة الشرعية والتمرد عليها، وبيَّن أن ذلك مما يتعهَّد المسلم باجتنابه عند البيعة. كما حذَّر من الظلم، وأمر بالابتعاد عنه دائمًا. وفي هذا المعنى جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

فلا يجوز للمسلم أن يظلم أخاه المسلم، ولا أن يسلِّمه إلى ظالم. ولكن من المؤسف أن كثيرًا من أهل الدنيا اليوم يفعلون خلاف هذا الأمر، حتى إن بعض الدول الكبرى تتصرف بهذه الطريقة.

ولم يقتصر نهيه ﷺ عن الظلم على المسلمين فحسب، بل أوصى بعدم ظلم جميع البشر، ومراعاة حقوق البشر كلهم. وكان المسيح الموعود عليه السلام يأخذ البيعة من أصحابه على ألا يظلموا، ولا يخونوا، ولا يثيروا التمرد أو الفساد.

ثم بيّن عليه السلام من أجل الوقاية من الفتن والفساد، أن من يدخل في بيعته ينبغي له أن يجتنب الفتن والاضطرابات. وقال أيضا: "ما دمتم قد بايعتموني، فعليكم أن تتجنبوا الفتن والفساد، فإن لم تجتنبوها فلن تكونوا قد أوفيتم بحق البيعة".

وإلى جانب المحافظة على الصلوات المفروضة، وجَّه عليه السلام إلى الاهتمام بصلاة التهجد وغيرها من النوافل؛ لأن الله تعالى عدّ النهوض للتهجد ليلا جهادا كبيرا، وستنالون به أجرا كبيرا.

وقد ورد في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى يقول: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".

فيقول الله تعالى إن الذين يتقربون إليه بالنوافل إنما يفعلون ذلك بدافع محبتهم له، فإذا أحبوه أحبهم، تولَّاهم بحفظه ورعايته، وأحاطهم بعنايته، وأنعم عليهم بشتى أنواع فضله وإحسانه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن ترك السيئات ليس أمرًا يقدر عليه الإنسان بقوته وحدها؛ لذلك قوموا من الليل، وصلُّوا التهجد، وأكثروا من الدعاء بذلك من الله تعالى. فالتخلي عن المعاصي ليس أمرًا سهلًا، لذا ينبغي أن تقوموا في الليل وتصلُّوا التهجد وتدعوا الله تعالى. فهو وحده خالقكم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي إنه سبحانه وتعالى هو الذي خلقكم وخلق أعمالكم، فمن غيره يستطيع أن يوفقكم للابتعاد عن السيئات وكسب الحسنات؟".

ثم أوصى عليه السلام بالإكثار من التسبيح والتحميد، فقال: "إن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهذا أمرٌ للمؤمنين"، ومن أجل إحياء هذه التعاليم بعث الله تعالى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في هذا العصر.

جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ".

لذلك ينبغي للمؤمن أن يبدأ كل عمل من أعماله بحمد الله تعالى، فبذلك تحل فيه البركة.

كذلك نصح عليه السلام بأن يحمد الإنسان ربه ويشكره بعد كل صلاة.

يقول النبي ﷺ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ".

أي إن هاتين الكلمتين يسيرتان على اللسان، لا يستغرق النطق بهما إلا لحظات، ولكن عندما يضعهما الله تعالى في الميزان تصبح كفتها راجحة لأنهما محبوبتان إلى الله تعالى، وهما: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

إذن، إن حمد الله تعالى أيضًا مهمٌّ جدًّا لهداية الإنسان إلى كسب الحسنات ونيل قرب الله تعالى. فينبغي لنا أن نولي هذا الأمر مزيدًا من الاهتمام. وكذلك ينبغي إيلاء اهتمام خاص للصلاة على النبي ﷺ. وأتوقع أنكم تكثرون من الصلاة على النبي ﷺ في هذه الأيام بوجه خاص، فاجعلوها جزءًا من حياتكم. لقد قال رسول الله ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ". فينبغي إذن الاهتمام كثيرًا بالصلاة على النبي ﷺ. وحين نفعل ذلك عندئذ فقط نكون قد أدّينا حقّ البيعة.

كذلك ينبغي إيلاء اهتمام كبير بالتوبة والاستغفار. لقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ".

فينبغي إذن الاهتمام والالتزام بكثرة الاستغفار أيضًا. كثير من الناس يسألونني عن حل مشاكلهم، فأجيبهم دائمًا بأن يكثروا من الاستغفار باهتمام شديد. يقول النَّبِيّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرِ".

وكان المسيح الموعود عليه السلام أيضًا يتبع المبدأ نفسه؛ فقد كان بعض الناس يطلبون منه الدعاء لسداد ديونهم، فكان يقول لهم: "استغفروا". ذات مرة قال له أحد إنه لم يُرزق بالأولاد، فقال له: "أكثِر من الاستغفار". وفيما يتعلق بقراءة الاستغفار قال: "استغفروا أيضًا لأولادكم بكثرة، لأن للإنسان حالتين فقط: إما ألا يرتكب الذنب، وإما أن ينجّيه الله تعالى من سوء عاقبة ذلك الذنب. وهذه هي الأمور التي تحمي الإنسان من الوقوع في الذنب، وينجّيه الله تعالى مما صدر منه من قبل من ذنوب. فعند الاستغفار ينبغي مراعاة كلا المعنيين: الأول أن يُطلب من الله تعالى ستر الذنوب الماضية، والثاني أن تُطلب منه ﷻ التوفيق لاجتناب الذنوب في المستقبل". لكن الاستغفار لا يتحقق باللسان وحده، بل ينبغي أن يكون بالقلب أيضًا. وإذا كان الأمر كذلك عندها فقط سيُقبَل استغفارنا.

كذلك سبق ذكر التهجد، فإن الإنسان لا يمكنه أن يؤدي التهجد إلا حين يكون محافظًا على الصلوات المفروضة، وحين يكون لديه اهتمام بالصلوات فسيهتمّ بالتهجد أيضًا. جاء في حديث أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ" . فهناك مسلم ومؤمن ومشرك وكافر، والفرق بينهم أن المؤمن الحقيقي هو من يصلّي ويعبد الله تعالى، وإذا كان أحد يسمّى مسلما ثم يترك الصلاة فإنه يقترب من الشرك والكفر. أما نحن فقد بايعنا على عدم الكفر والشرك، وعاهدنا على الجهاد ضد الشرك، فعلينا أن نحافظ على صلواتنا. فليحرص الرجال على أداء الصلوات الخمس في مركز الصلاة أو المسجد ليكون ذلك عادة متبعة، حتى تعمر مساجدنا، ولتتحلى أجيالنا بالوعي بالعبادات، ولينشأ فيهم شوق وحماس، وليدركوا ضرورة الصلاة وأهميتها. لكن ينبغي أن يؤدي المرء الصلاة كما هو حقها وبشروطها. وفي هذا الشأن يقول المسيح الموعود عليه السلام: "الاكتفاء بالصورة الظاهرة للصلاة لَسفَهٌ وغباء، معظم الناس يصلّون اتباعا للعادة ويسرعون كأنها ضريبة غير شرعية ويسعون للتخلص منها عاجلا، وبعضهم يُنهون الصلاة بسرعة ثم يجلسون بعدها للدعاء، وهذا الدعاء يستغرق ضعفين أو ثلاثة أضعاف وقت الصلاة، مع أن الصلاة بحد ذاتها دعاء، فالذي ليس من نصيبه أن يدعو في الصلاة فلا صلاة له أصلا، ينبغي أن تجعلوا صلاتكم لذيذة وممتعة بالدعاء مثل الطعام والماء البارد، وحذار أن يُردّها الله تعالى. فالصلاة حق لله، فلا يكون الأمر بحيث يردّها الله تعالى، بل ينبغي أن تؤدوا حق الصلاة وتؤدوها على أكمل وجه، عندئذ فقط يمكنكم أن تُصلحوا حياتكم". وكذلك قال حضرته عليه السلام: "أحسنوا المعاملة مع خلق الله عمومًا". فالمسيح الموعود عليه السلام ينصح قائلًا: "ألَا لا تكون الجماعةُ جماعةً إذا كان بعضها يأكل بعضا، وإذا جلس بعضهم شَكُوا بعض إخوتهم الضعفاء وازدروهم وحقّروهم ونظروا إلى الفقراء والضعفاء باستخفاف وازدراء. يجب ألا يحدث هذا مطلقًا. بل يجب أن يؤدي الاجتماع إلى القوة والوحدة اللتين هما مجلبة الحب والبركات". أرى أنه يحدث بينكم خلاف على أتفه الأمور مما يدفع المعارضين الذين يراقبون كل صغيرة وكبيرة لنا أن يضخّموا الأمور البسيطة وينشروها في الجرائد، ويضِلّوا الناس. لولا هذه التقصيرات فيكم لما استطاع أحد على خداع الناس بنشر مثل هذه المقالات والأخبار ضدنا؟ فلماذا لا نوسّع نطاقَ القوى الأخلاقية؟ وهذا يحدث عندما تعمّ المواساة والحب والعفو واللطف، ويُقدَّم الرحمُ والمواساة وعادة الستر على جميع التصرفات. وقال عليه السلام أيضا: "لا يصبح أحد مسلمًا حقًّا اليوم أيضا حتى يتعاطف مع الآخرين كما يتعاطف مع نفسه. نصيحتي هي أن تطهروا قلوبكم وتتحلوا بالمواساة مع جميع بني البشر. ولا تتمنوا السوء لأحد، فهذا هو أسمى نوع الحضارة. ومن المؤسف أن هؤلاء القوم شديدو الحرص على الانتقام من الأمم الأخرى، لكني أقول: اعفوا واصفحوا، ولا تكونوا منافقين وذوي أحقاد. ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء. ولم أكتفِ بالقول باللسان فقط بل أظهرته عمليًّا، ولا يروقني أبدًا أن أنوي الشر حتى لمن ينوي الشر بي".

فقد أعطى حضرته عليه السلام مثالًا على أن: "التهمة التي وُجّهت إليّ في قضية محاولة اغتيال الدكتور كلارك ثبت أنها خاطئة، ومنحتني المحكمة أيضًا حق رفع دعوى ضده، لكنني لم أفعل ذلك؛ لأنني أردت أن أُظهر له التعاطف والشفقة. وكذلك وقعت مناسبات كثيرة أخرى، لكنني كنت دائمًا أتعامل بروح التعاطف". لذلك، إذا أردتم أن يسود السلام في العالم، فأشيعوا روح التعاطف، وعيشوا فيما بينكم بالمحبة والمودة، وليس فيما بينكم فحسب، بل أحبوا كل إنسان.

فهذه بعض الأمور التي ذكرتها. فإذا أحدثنا في أنفسنا تغييرًا طاهرًا، وأدينا حق البيعة، وعملنا عملًا كاملًا بشروطها، فلن نكون سببًا في إقامة مجتمع طاهر فحسب، بل سنصبح أيضًا ناشرين للرسالة الحقيقية للإسلام في العالم، بين المسلمين وغير المسلمين، وحتى بين معارضي الإسلام والملحدين، ناشرين لتعليم سامٍ سيحملهم يومًا ما، لا محالة، على الاعتراف بأن الأحمديين هم أولئك الذين يسعون إلى إقامة سلطان الله الواحد في الأرض، وإرساء أسمى القيم الأخلاقية، حتى لا تصبح الدنيا دارًا للفساد، بل موطنًا للأمن والسلام.

واليوم تبذل القوى الدجالية كل ما في وسعها لنشر فكرة محو اسم الله تعالى من العالم، وإشاعة الفساد في الأرض. وفي مثل هذه الظروف تقع على عاتقنا مسؤولية عظيمة، وهي أن نؤدي حق البيعة، وأن نجاهد هذه القوى الدجالية، سائلين الله تعالى فضله، وباذلين أقصى جهودنا لإحباط مكائدها وإفشال مخططاتها. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك، وأن يوفقنا للوفاء بعهد البيعة.

وأكثروا في دعائكم من الدعاء لأجل أمن العالم وسلامه، وادعوا أيضًا من أجل بقاء المسلمين وسلامتهم. نسأل الله تعالى أن يجعل كل أحمدي سببًا في إقامة سلطان الله الواحد في العالم، وأن يؤدي دوره الكامل في نشر الأمن والسلام. نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا لذلك.

والآن سندعو الله تعالى. تفضلوا بالدعاء. آمين.

ووفقًا لتقرير الحضور حاليا، فقد بلغ عدد الحاضرين في الجلسة، بفضل الله تعالى، ٥١,١٨١ شخصًا، والحمد لله. وشارك في هذه الجلسة ممثلون من ١١٧ دولة. وبحسب نظام التسجيل الإلكتروني، بلغ عدد الرجال ٢٤,٦٧١، وبلغ عدد النساء ٢٣,٦١١، أما الأطفال وغيرهم ممن لم يُسجلوا إلكترونيًا فقد بلغ عددهم ٢,٨٩٥، ليصبح المجموع ٥١,١٨١ مشاركًا. وهذا العدد يزيد زيادة ملحوظة على عدد الحضور في العام الماضي، بفضل الله تعالى.

وكذلك، ومن خلال قناة MTA، جرى الاستماع إلى وقائع الجلسة في مختلف المراكز حول العالم؛ إذ أُقيم ٩٥ مركزًا في ٦٢ دولة، واستمع إليها ١٦,٢١١ شخصًا في أوقات مختلفة، كما بلغ عدد المستمعين في الجلسة الختامية أيضًا ١٦,٢١١ شخصًا، وأظن أن العدد الحقيقي أكبر من ذلك، لأن كثيرًا من الناس كانوا يتابعونها بصورة فردية أيضًا.

وعلى كل حال، نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع للانتفاع ببركات هذه الجلسة.

والآن ستُقدَّم الأناشيد، فلتبدأوا بها سريعًا.

******